خطاب 27 أبريل

شيخ الأزهر،

أصحاب السعادة والفضيلة،

"طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمِ، لأَنَّهُمْ أَبْنَاءَ اللهِ يُدْعَوْنَ" (إنجيل متى 5 : 9). إن تحقيق السلام عمل مقدس. كل من يجلب السلام، السلام الحقيقي، السلام العادل، هو شخص يخدم مشيئة الله. لذلك، ينبغي أن يكون هذا جدول أعمالنا المشترك وأولويتنا القصوى نحن الزعماء الدينيون والمؤمنون بصفة عامة.

وبصفتنا ممثلين عن مجلس الكنائس العالمي، نشعر بالامتنان الشديد لشيخ الأزهر ومجلس حكماء المسلمين لإتاحتهم لنا هذه الفرصة للاجتماع والتأكيد على التزامنا المشترك بالعمل معا من أجل السلام العادل في عالمنا.

نجتمع اليوم في وقت دقيق بالنسبة لهذا البلد ولهذه المنطقة ولأقاليم كثيرة في العالم، حيث توجد دلائل على الانقسام والاستقطاب بين الشعوب والأمم، والبعض يميّز بين الناس وفقا لأديانهم المختلفة. نشاهد ذلك في أجزاء كثيرة من العالم. ونشاهد أيضا أن الهوية والمراجع الدينية يُساء استخدامها لهذا الغرض. كما تُستخدم لإضفاء الشرعية على العنف والإرهاب باسم الدين. لا يحتاج أبناؤنا لذلك حتى يعيشوا معاً في سلام. هذا لا يتفق مع تطلعات شبابنا وآمالهم.

نحن نؤمن بربّ واحد خلق إنسانية واحدة لكي تعيش معاً رغم تنوعها واختلافاتها. نحن هنا لنتبادل أفكارنا والتزامنا بإظهار ما نعتقد أن ذلك يعني عملياً. معا يجب أن ندعو لرعاية حياة جميع مخلوقات الله. بصفتنا من خَلْق الله، نحن مسؤولون أمام الخالق عندما نلتقي ببعضنا البعض.

هذه هي مسؤوليتنا الشخصية، أيا كنّا ومهما كانت مناصبنا. بصفتنا قيادات دينية، تقع على عاتقنا مسؤولية خاصة تتمثل في رفع قدسية حياة جميع البشر الذين خلقهم الله. ونحن مدعوون كجماعات دينية لإظهار ذلك محبةً لبعضنا البعض، في علاقات احترام ورعاية للجميع.

ونعترف بأننا جميعا ضعفاء وأن لدينا جميعا حاجة متساوية للحماية ولحقوق الإنسان. وتتحمل السلطات الحاكمة مسؤولية توفير الأطر اللازمة لذلك، لكي نُعَامَل جميعا بحقوق متساوية والتزامات مماثلة.

وهذا يقابل بعدة طرق مفهوم "المواطنة". مبدأ المواطنة هو، في رأيي، طريقة مناسبة للتعبير في مجال السياسة على مفهوم مهم أيضا في إيماننا بالله. مبدأ المواطنة ينتمي إلى مجال السياسة والنظم القانونية، ويمكن من خلاله أيضاً توفير الحقوق والحماية التي نحتاجها بغض النظر عن هويتنا ودينا. يجب أن يكون للأشخاص المختلفين نفس الأسس والأمن

لحياتهم ولحياة أطفالهم وأحفادهم. وفي إطار الدولة والمجتمع الدولي للدول، نحتاج إلى مبادئ تهتم بالعدالة والسلام للجميع. نحتاج إلى حماية متساوية للجميع ضد الظلم والعنف. نحتاج إلى أرضية صلبة وواضحة تكون مشتركة لحياتنا معا.

وخلال مناقشاتنا مع مؤسسة الأزهر خلال الأيام الماضية، تناولنا المفهوم الأساسي للمواطنة المطروح على طاولتنا المشتركة. وناقشنا ما معنى أن يعيش معا أشخاص من ديانات مختلفة بشكل بناء كمواطنين مشتركين في نفس البلد. وهذه القضية قضية "حية"، كما نقول، في مناطق عدة من الشرق الأوسط في الوقت الراهن، وهي تشكل مصدر قلق، وأحترم المثال الذي يسعى شيخ الأزهر لإعطائه. وهذه القضية قضية تواجهها دول ما يسمى بالعالم الغربي على نحو متزايد، ولاسيما في هذه الأيام التي انتشرت فيها الهجرة الدولية على نطاق واسع. كيف يمكن احترام جميع المواطنين في كل بلد من أجل المساهمات الخاصة والمتنوعة الدينية أو العرقية التي يمكنهم تقديمها للنسيج الغني للأمة، وكيف يمكن في الوقت نفسه أن يندمجوا اندماجا متكاملا ويتمكنوا من العيش معا مع الجميع كمواطنين إيجابيين في البلاد ؟ هذا هو التحدي الذي لا يمكن تجاهله.

وعلاوة على ذلك، علينا أن نستكشف معا كيف ينبغي للدين وللشعائر الدينية أن تساهم في العيش معا في سلام ووئام. ينبغي علينا أن نثبت ما معنى أن نهتم ونحمي بعضنا البعض. ينبغي علينا أن نؤكد لبعضنا البعض أننا بحاجة إلى المحبة والرعاية، بل أكثر من ذلك، أننا بحاجة إلى أن نوفر لبعضنا البعض نفس الحقوق لكي نكون مواطنين، وأن نكون جيرانا، وأن نكون بشرا تُلبى احتياجاتنا الإنسانية الأساسية من الغذاء والماء والأمن والصحة والتعليم وحرية الاعتقاد وتبادل قناعاتنا مع بعضنا البعض.

أصدقائي، أعتقد أننا رأينا هنا في مصر أمثلة مذهلة تعكس هذه المعاني. لقد سمعنا أمثلة كثيرة عن مسلمين يحمون ويدافعون عن مسيحيين تعرضوا للعنف. كما أننا نسمع عن مسيحيين يدعمون الفقراء أو يوفرون التعليم لأي شخص، بغض النظر عن دينه.

نحن بحاجة إلى إيجاد طرق ملموسة يمكننا من خلالها التعبير عن محبة الله بمحبة الآخر. إنني متحمّس للتعلم من القادة المسلمين والمسيحيين على حد السواء كيف ينبغي لنا أن نستكشف المزيد من الطرق التي يمكن من خلالها التعبير عن هذه العلاقة بين المحبة الإلهية ومحبتنا.

"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ. (رسالة يوحنا الرسول الأولى 4:7-8). الله يدعونا لتبادل هذه المحبة مع بعضنا البعض ومع العالم.

هذا السعي لإضفاء طابع ملموس على معنى إيماننا بمحبة الله الواحد يعني ليس مسألة مجردة أو رغبة ناعمة في واقع معيشي صعب. هذه في الواقع مسألة ملحة وأساسية في وقت تريد فيه جماعات وقادة مختلفين استخدام الدين كوسيلة لتقسيم أو استقطاب أو حتى إضفاء الشرعية على الصراعات والحروب.

لا يمكن أن يُمارس العنف باسم الدين دون انتهاك قيم الدين. العنف باسم الله تجاه أولئك الذين خُلقوا في صورة الله هو عنف ضد الله. نحن من البداية إلى النهاية مسؤولون أمام الله.

علينا أن نسلك طريقاً آخر، طريق الحج، للبحث عن العدالة والسلام مع كل من هم على استعداد لسلك هذا الطريق معا. هذا هو الطريق الوحيد الذي يمكن أن يعطينا مستقبلا مليئاً بالأمل. هذا هو الطريق نحو الحوار الحقيقي.

يسرّني أيضاً أن هذا المؤتمر قد عُقد على مقربة من الزمن من الحوار الثنائي الذي يجريه مجلس الكنائس العالمي مع مجلس حكماء المسلمين. وأود أن أغتنم هذه الفرصة لأعبر كيف أن مجلس الكنائس العالمي يعتبر علاقتنا المتطورة مع الإمام الأكبر شيخ الأزهر ومجلس حكماء المسلمين علاقة مهمة، ونتطلع إلى العمل معا في المستقبل بطرق عملية لتحقيق السلام في عالمنا.

وبما أننا في مجلس الكنائس العالمي نضم 350 كنسية تمثل أكثر من 560 مليون عضو، فنحن نؤسس عملنا على الحوار المتواصل مع الآخرين، ونحن "عندما ننظر لبعضنا البعض نحاول معرفة ما نودّ أن نقوله لبعضنا البعض" (من كلام المرحوم البطريرك المسكوني "أثيناغوراس"). فنحن نعتقد بأننا بصفتنا أتباع الكنائس يتعين علينا القيام بنداء واحد ومشترك ونعتقد بأننا خُلقنا للتعبير عن ذلك من خلال وسائل تعزيز السلام العادل بين الشعوب وفي كل أرجاء العالم وفي مختلف المجتمعات الخاضعة لخلق الله وملكوته.

وبصفتنا نمثل مجلس الكنائس العالمي، فنحن نتحمل المسؤولية المشتركة مع بعضنا البعض، ونراقب تصرفاتنا على أساس القواسم المشتركة التي توحدنا والتي تعتبر أساس اعتقادنا في المسيحية وفي الحياة. هذه هي عقيدتنا في الحياة وإيماننا بالرب الواحد خالق الإنسانية جمعاء نعبده كرب باسم الأب والابن والروح.

وهذا النداء هو نداء للصداقة المشتركة التي من أجلها خُلقنا لنكوّن عائلة إنسانية واحدة مع كل نِعَم التنوع التي حصلنا عليها. نحن مدعوون للأخذ بهذه النعم لمشاطرتها فيما بيننا وتقاسمها معا طالما أننا نمثل هذا المجلس العالمي. لاشك أنّ هناك اختلافات فيما بيننا عقائدية واجتماعية غير أنها ربما نابعة من تقاليدنا الدينية المختلفة. فمثل هذه الاختلافات بالنسبة لنا مهمة مثل أهمية الحوار مع شركائنا في العقيدة، فنحن لا نريد إقصاء أي طرف أو القول بعدم وجود الآخر. غير أنّ أي طرف ليس من حقّه منعنا من العمل معا من أجل تحقيق السلام.

إنّ هذا النداء من أجل التنوع سبق وأن عشنا تجربته بشكل عميق من خلال مجلس الكنائس العالمي ببعده العالمي ونحن نفتخر بوجود كنائس أعضاء تنتمي لكل أنحاء العالم بما في ذلك، وبدون شك، منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

نحن نتقاسم الحقيقة التي تخص محبة الله ومشيئة الله ونسعى كذلك لمعرفة الحقيقة ذات الصلة بالواقع الذي نعيش فيه ضمن سياقات مختلفة، معرفة حقيقة محبة الله التي نتقاسمها أمام حقيقة الخطيئة، وهذا من شأنه الدعوة للمشاركة في هذا المجتمع الإنساني للتضامن معا بتواضع بل في بعض الأوقات توجيه الانتقاد والانتقاد الذاتي لتصرفاتنا.

لقد تأسس مجلس الكنائس العالمي مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية وهي الحرب التي كانت بمثابة مأساة للإنسانية جمعاء بسبب الخراب الذي ألحقته بالأمم والشعوب حيث أن البعض منهما عانى الويلات بسبب محاولة فرض الشرعية المسيحية مثل ما حصل ضد الشعب اليهودي. وقد فهمت الكنائس في 1948م أنها يمكن أن يُجرّ بها لتصبح أداة للاضطهاد والمشاركة في النزاعات. وقد حان الوقت للاستغفار والمصالحة.

وقد كان لابد من توجيه نفس الانتقاد الذاتي خلال السنوات التي تلت فترة التحرر من الاستعمار في أنحاء عديدة من العالم ومرّة أخرى كانت المسيحية مرتبطة بالتاريخ الأسود للاستعمار والاستعباد والعنصرية والتمييز.

واليوم نحن هنا من جديد للصراع من أجل مقاومة العنصرية وإقصاء اللاجئين والتفرقة والتمييز –دائما باسم الدين وحتى باسم عقيدتنا المسيحية.

غير أنه من جهة أخرى وبفضل العناية الربانية، ها نحن من خلال الحوار بين المجلسين ندعو للوحدة والنظام والاستغفار ليجد كل واحد منا طريقه إلى الأمام.

فالله طلب منا توطيد التضامن بين المسحيين من خلال صليب المسيح وأنا الآن أمامكم في القاهرة لديّ إحساس بالتواضع بفضل الشهادة التي يقدمها المسيحيون الصادقون الذين ينتمون لكنائسنا الأعضاء في المجلس في هذا البلد. فنحن نتشرف بالافتخار بوفائهم في هذه الأوقات العصيبة والخطيرة ومن خلال التضارب الموجود في قلب الاعتقاد المسيحي، نحن نحمل الشهادة بأن مع مثل هذا الضعف الظاهري توجد قوة روحية. ومن خلال حياتهم اليومية فهم بشكل من الأشكال يعكسون خبايا الصليب الذي يكون محور عقيدتهم.

نريد أن نعمل معا ومع كل بني البشر من الإنسانية جمعاء ومع كل المجتمعات الدينية من أجل تحقيق عالم أفضل، إن نظرة التنوع في الوحدة تعتبر هبة من الله ونرغب تقديمها بكل رحب وسعة على مائدة التعاون بين الأديان بين الرجال والنساء والأطفال من مختلف الديانات للعمل معا من أجل تحقيق السلام العالمي والعدالة بين كل البشر بما في ذلك الرعاية للأرض التي نعيش فوقها.

وأودّ أن أختتم قائلا:

بصفتنا زعماء دينيين، مجتمعين اليوم من أجل السلام، نحن نضطلع بمسؤولية وواجب التحدث من خلال صوت واحد لاسيما ضد دعاة الكراهية والتحريض على العنف والتمييز أو استخدام أي نوع من أنواع العنف ضد المساواة بين الكرامة البشرية بغض النظر عن دياناتهم ومعتقداتهم وأجناسهم وآرائهم السياسية أو الوطنية أو الاجتماعية أو أية مواقف أخرى.

فنحن نتفق تمام الاتفاق بأننا كبشر نحن مسئولون على إعادة تقويم هذه الأخطاء حسب مفاهيمنا الدنية. فنحن مسئولون عن التصرفات التي نقوم بها، بل نحن مسئولون حتى على عدم اتخاذنا مواقف ملائمة عندما تدعو الضرورة إلى ذلك في الأوقات المناسبة. ففي الوقت التي تتحمل فيه الدول المسئولية الأولى لتعزيز حقوق الإنسان للجميع أفرادا

ومجموعات للتمتع بحياة كريمة خالية من الخوف، نحن بصفتنا زعماء دينيين نتحمل مسؤولية مشتركة للوقوف معا من أجل الدفاع عن قواسمنا المشتركة في الإنسانية والمساواة في الكرامة بين بني البشر ويتعين علينا القيام بذلك معا كلّ واحد منّا في أماكن العبادة والتدريس والإرشاد الديني والالتزام الاجتماعي.

لدينا مسؤولية التكلم باسم المحبة ومن أجل المحبة لنبذ خطاب الكراهية ونفث خطاب التراحم والتضامن لتضميد جراح القلوب في المجتمعات كافة. نحن بصفتنا زعماء دينيين، يتوجب علينا أن نضطلع بأدوارنا كمؤمنين وكأناس عاديين في مجتمعاتنا العقادية بحيث يمكن لنا إحداث تغيير حقيقي من خلال طريقة كلامنا ومن خلال تربيتنا لأطفالنا ومن خلال طريقة عيشنا في مجتمعاتنا المحلية والتعبير عن معنى اعتقاداتنا بحيث تكون تعكس محبتنا للربّ.

معا يمكن لنا إحداث هذا الفرق، معا يمكن لنا أن نمنح الأمل، المحبة من أجل إنسانية واحدة، فلنقم بذلك معا.

الدكتور / "أولاف فيكس تفيت"

أمين عام مجلس الكنائس العالمي